متى تراك عيني بقية الله - الحلقة الرابعة

الأربعاء: 22/6/2016م ــ 16 شهر رمضان 1437هـ

* مرّ الحديث في الحلقات الماضية عن معنى الصيام، وعن دعوة الضيافة الإلهيّة، ومأدبة إمام زماننا، وآداب الحضور إليها والجلوس حولها، إلى أن وصلنا إلى بني إسرائيل بعد أن مرّ الكلام عن قوم نوح.

* قرأتُ عليكم جانباً ممّا جاء في تفسير إمامنا العسكري بخصوص المُحاورة التي كانت مابين موسى النبي وتمثال (عجل السامري).

(يا موسى بن عمران ما خُذل هؤلاء بعبادتي، واتّخاذي إلهاً إلّا لتهاونهم بالصلاة على مُحمّد وآله الطيبين، وجُحودهم بموالاتهم، وبنبوّة النبي مُحمّد ووصيّه الوصي حتّى أدّاهم إلى أن اتّخذوني إلهاً) !

ووصلنا إلى هذه النقطة وهي: أنّ السر في هذا الذكر المُتكرّر لبني اسرائيل في القرآن الكريم هو ما تكشفه الحقائق التي بيّنها لنا إمامنا العسكري في تفسيره الشريف.

وكذلك فإن السر في تفضيل بني إسرائيل على سائر الأمم أنّهم كُلّفوا بشكل تفصيلي بالاعتقاد والارتباط بنبيّنا وعلي وآلهما الأطهار (كُلّفوا بالاعتقاد، وحتّى في طقوسهم وعباداتهم وأورادهم وأذكارهم).

* أشرتُ في الحلقة الماضية أنّ السبب وراء مجيء اليهود إلى الجزيرة العربية بعد أن كانوا يعيشون في بلاد الشام في فلسطين وكانوا يعيشون في المُدن (وكانوا قوم مُتحضّرون عاشوا في المُدن، وحتّى الذين عاشوا في القُرى منهم، عاشوا مُرفّهين في قرى يكثر فيها الزرع والماء) لكن الذي جاء بهم هو انتظارهم للنبي الخاتم، وهم يعلمون بأنّ الأرض التي يخرج منها هي الجزيرة العربية.

* وقفة عند الآية 89 من سورة البقرة {ولمّا جاءهم كتابٌ مِن عند الله مُصدّق لِمَا معهم وكانوا مِن قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا بهِ فلعنةُ الله على الكافرين}. ورواية الإمام الصادق عليه السلام في [تفسير العياشي: ج1] حول هذه الآية، وقصّة اليمانيّن الذين قطنوا المدينة.

(عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: {وكانوا مِن قبل يستفتحون على الذين كفروا} قال:

كانت اليهود تجد في كُتبها أنّ مُهاجر مُحمّد "صلّى الله عليه وآله" - أي المَهْجر، المكان الذي سيُهاجر إليه - ما بين عِير وأُحد - أسماء جبال - فخرجوا يطلبون الموضع، فمرّوا بجبل يُسمّى حِداداً فقالوا حِداد وأُحد سواء فتفرّقوا عنده - يعني سكنوا في المناطق المُحيطة بالجبل المُسمّى حداد -، فنزل بعضهم بفدك وبعضهم بخيبر وبعضهم بتيماء، فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فمرَّ بهم إعرابي مِن قيس فتكاروا منه - أي أجّروا النياق منه - وقال لهم: أمرُّ بكم ما بين عِير وأُحد فقالوا له: إذا مررتَ بهما فأرناهما فلمّا توسّط بهم أرض المدينة قال لهم: ذاك عِير وهذا أُحُد، فنزلوا عن ظهر إبله فقالوا له: قد أصبنا بُغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك، فاذهب حيثُ شِئت وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر: إنّا قد أصبنا الموضع فهلمّوا إلينا، فكتبوا إليهم: إنّا قد استقرّت بنا الدار واتّخذنا الأموال وما أقربنا منكم، وإذا كان ذلك - أي إذا بُعث النبي - فما أسرعنا إليكم، فاتّخذوا بأرض المدينة الأموال، فلمّا كثُرتْ أموالهم بلغ تُبّع - اسم ملك اليمن - فغزاهم فتحصّنوا منهُ فحاصرهم، فكانوا يرقّون لضُعفاء أصحاب تُبّع، فيُلقُون إليهم باللّيل التمر والشعير، فبلغ ذلك تُبّع فرقَّ لهم وآمنهم، فنزلوا إليه فقال لهم: إنّي قد استطبتُ بلادكم ولا أرى إلّا مُقيماً فيكم، فقالوا له:

إنّه ليس ذلك لك، إنّها مُهاجر نبي وليس ذلك لأحد حتّى يكون ذلك، فقال لهم: فإنّي مُخلّف فيكم مِن أسرتي مَن إذا كان ذلك ساعدهُ ونَصَره، فخلّف فيهم حيّين: الأوس والخزرج، فلمّا كثروا بها - أي الأوس والخزرج - كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانتْ اليهود تقول لهم: أما لو بُعث مُحمّد لنُخرجنّكم مِن ديارنا وأموالنا، فلمّا بَعث الله مُحمَّداً "صلّى الله عليه وآله " آمنتْ به الأنصار - الأوس والخزرج - وكفرتْ به اليهود، وهو قول الله {وكانوا مِن قبل يستفتحون على الذين كفروا} إلى قوله {فلعنة الله على الكافرين}).

* الأحاديث التفسيرية تكشف لنا حقائق لن نجدها عند المُخالفين ولن نجدها عند علمائنا ومراجعنا حينما كتبوا تفاسيرهم وقد أعرضوا عن حديث العترة بحجّة ضعف الأسانيد وما استندوا إليه مِن قذارات علم الرجال وعلم الحديث الذي أسموه علم الدراية.

* الأوس والخزرج كانوا على الكُفر في زمان الجاهليّة، وحينما كانوا يُؤذون اليهود، كان اليهود يُهدّدونهم بمجيء محمّد وبعثته، وأنّه إذا بُعث فإنّ أنصاره الحقيقيّون (اليهود يقصدون أنفسهم) سوف يُخرجون الأوس والخزرج من المدينة، ولكن الأمور جرت بشكل آخر لأنّ علماء اليهود حسدوا محمّداً صلّى الله عليه وآله وطمعوا في الأموال التي عندهم، أحبّوا دوام رئاستهم، فكان الذي كان.. ومثل هذا سيجري عند ظهور إمام زماننا عليه السلام ! بل إنّ هذا يجري في إرهاصات ظهور إمام زماننا عليه السلام كما يقول سيّد الأوصياء عليه السلام: (ولتُساطُنَّ سوط القِدْر - أي الآلة التي يُحرّك فيها مُحتوى القِدْر -، حتّى يعود أسفلُكم أعلاكم وأعلاكم أسفلُكم).

* وقفة عند الآيتين (49 - 50) من سورة البقرة: {وإذ نجّيناكم مِن آل فرعون يَسومونكم سُوء العذاب يُذبّحون أبناءَكم ويستحيون نساءَكم وفي ذلكم بلاءٌ مِن ربّكم عظيم * وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون}

■ الآية 49 تقول (نجّيانكم) أمّا الآية 50 تقول (أنجيناكم)

فارقٌ واضح وجلي بين المعنيين، فهناك تنجية وهناك إنجاء: تعبير (نجّيناكم) يُشير إلى نجاة مؤقّتة .. أمّا تعبير (أنجيناكم) فيُشير إلى نجاة كاملة نهائيّة.

■ معنى (يستحيون نساءكم): يفترشون النساء، ويستخدمون النساء.

* من دون الرجوع إلى تفسير الإمام العسكري لن تتضح حقائق هاتين الآيتين، حتّى لو رجعنا إلى بقيّة الروايات وبقيّة الأحاديث !

(وقفة عند [تفسير الإمام العسكري عليه السلام] لبيان معنى الآية 50 من سورة البقرة والتي تتحدّث عن الفترة الزمانية الأولى قبل الدخول في الصراع الأخير الذي انتهى بالقضاء على فرعون) .. ممّا جاء فيه:

(وكان مِن عذابهم الشديد أنّه كان فرعون يُكلّفهم عمل البناء والطين، ويخاف أن يهربوا عن العمل، فأمر بتقييدهم، فكانوا ينقلون ذلك الطين على السلاليم إلى السطوح: فربّما سقط الواحد منهم فمات أو زَمِن - أي أُصيب بعاهة - ولا يحفلون بهم - أي لا يعبؤون بهم - إلى أن أوحى الله عزَّ وجل إلى موسى: قل لهم: لا يبتدؤن عملاً إلّا بالصلاة على مُحمّد وآله الطيبين ليخُفّ عليهم. فكانوا يفعلون ذلك، فيخُفَّ عليهم.

وأمر كلّ مَن سقط وزَمِن ممَّن نسي الصلاة على مُحمّد وآله الطيبين أن يقولها على نفسه إن أمكنه - أي الصلاة على مُحمَّد وآله - أو يُقال عليه إن لم يُمكنه، فإنّه يقوم ولا يضره ذلك، ففعلوها، فسلِموا.

(يُذبّحون أبناءكم) وذلك لَمّا قيل لفرعون: أنّه يُولد في بني إسرائيل مولود يكون على يده هلاكك، وزوال ملكك. فأمر بذبح أبنائهم، فكانت الواحدة مِنهنَّ تُصانع القوابل عن نفسها - أي تُقدّم للقوابل الرشوة، والهدية - لئلا يُنمَّ عليها، ويتِمَّ حملُها، ثمَّ تلقي ولدها في صحراء، أو غار جبل، أو مكان غامض، وتقول عليه عشر مرّات الصلاة على مُحمّد وآله، فيُقيّض الله لهُ مَلَكاً يُربّيه، ويدر مِن إصبع لهُ لبناً يمصّه، ومِن إصبع طعاماً ليّناً يتغذّاه، إلى أن نشأ بنو إسرائيل وكان مَن سَلِم منهم ونشأ أكثر ممّن قُتل.

(ويستحيون نساءكم) يُبقونهنَّ ويتخذونهن إماءً، فضجّوا إلى موسى وقالوا: يفترعون بناتنا وأخواتنا.

فأمر الله تلك البنات كلّما رابهنَّ ريب مِن ذلك صلّين على مُحمّد وآله الطيبين، فكان الله يردُّ عنهنَّ أولئك الرجال، إمّا بشغل أو مرض أو زمانة - أي تعويق وعاهة - أو لطف مِن ألطافه، فلم يُفترش منهنَّ امرأة، بل دفع الله عزَّ وجل ذلك عنهن بصلاتهن على مُحمَّد وآله الطيبين.

ثمّ قال الله عزَّ وجل: (وفي ذلكم) أي في ذلك الإنجاء الذي أنجاكم منهم ربّكم (بلاء) نعمة (مِن ربّكم عظيم) كبير- كما يُقال في كلام العرب [إن بلاء فلان عليّ عظيم: أي إحسان فلان عليّ عظيم]

قال الله عزّ وجل: يا بني إسرائيل اذكروا إذ كان البلاء يُصرف عن أسلافكم ويَخف بالصلاة على مُحمّد وآله الطيبين، أفما تعلمون أنّكم إذا شاهدتموه، وآمنتم به كانت النعمة عليكم أعظم وأفضل، وفضل الله عليكم أكثر وأجزل؟)

■ مؤسسة لرعاية الأطفال وتنميتهم وتغذيتهم وتربيتهم، رأسُ مالها (الصلاة على محمّد وآل محمّد).. لماذا يُشكّك في هذه الروايات؟!

■ حينما يقرؤون قصصاً في التأريخ أو الآن عن أطفال عاشوا في الغابات، واعتنت بهم الحيوانات لا يعترضون .. لكن على مثل هذه الروايات فقط يعترضون !!!

■ هناك نساء ذُبحت أطفالهم، فليس كلّ النساء قادرات على دفع الرشوة، وليس كُلّ القوابل تقبل الرشوة .. ولكن مَن نشأ من أبناء هؤلاء اليهود أكثر.

■ (وفي ذلكم بلاء مِن ربّكم عظيم) أي نعمةٌ كبيرة مِن الله عليكم تجلّت في تنجيتكم مِن آل فرعون وما كانوا يصنعون بكم مِن صور مختلفة من العذاب.. وكانت نجاتكم بذكر الصلاة على محمّد وآل محمّد.

* قد يقول قائل أنّه لا يُوجد في كُتب اليهود مِن عين ولا أثر يُشير إلى ارتباط اليهود بالنبي وآل النبي في اعتقاداتهم وطقوسهم!!

وأقول: أنّ كتب اليهود حُرّفت، وتوراتهم ضاعت، وهم أعادوا كتابتها بتحريف بعد تحريف ..

● كتابهم الأساس (التلمود) لم يكن مكتوباً وإنّما كُتب بعد ذلك.. وإنّما كان يُنقل في الصدور، وحُرّفتْ الكثير من الحقائق، ومع ذلك فقد بقيت بقايا مِن رموز وإشارات تدل على هذه الحقائق، وقد تحدّثتُ عن هذا المطلب في برامج سابقة.. تحدّثتُ عن بقايا ذكر محمّد وآل محمّد في كتب اليهود والنصارى.

سأفتح هذا الموضوع في الحلقات المُتبقيّة من برنامج [الكتاب الناطق] حين أتحدّث عن الصدّيقة الكبرى.

* موسى قبل إعلان نبوّته كان الإسرائيليّون ينتظرونه .. مثلما نحن الآن نبحث عن علائم تُشير إلى قرب ظهور إمام زماننا.. هكذا كان الإسرائيليّون في مصر بسبب ما يلقون مِن العذاب من الفراعنة، كانوا يترقّبون الأيّام واللّيالي ويضجّون بالبكاء والنحيب والتوسل، وكانت إرهاصات ظهور موسى (خصوصاً السنوات التي بقي فيها موسى في مدين عند شُعيب) تلك السنوات كانت من أقسى السنوات على بني إسرائيل.. وهذه التعليمات التي كانت تصل إليهم من موسى، كانت تصل إليهم قبل بعثته.. بعد ذلك بُعث وأُعلنت نبوّته. (هناك الكثير مِن التفاصيل في قصّة بني إسرائيل تلتقي مع قصّة آل محمّد صلوات الله عليهم.. ولذلك حتّى حديث المنزلة [أنّ عليّاً بمنزلة هارون من موسى] وما جرى في السقيفة عُنونَ بعنوان [العجل والسامري] وتفاصيل أخرى).

* (وقفة عند [تفسير الإمام العسكري عليه السلام] لبيان معنى الآية 50 من سورة البقرة {وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون}) .. والتي تتحدّث عن أهمّ قصّة في التأريخ الإسرائيلي (قصّة العُبور: وهي قصّة وراثة الأرض)، ممّا جاء فيه:

(وذلك أنّ موسى لمّا انتهى إلى البحر، أوحى الله عزَّ وجل إليه: قل لبني إسرائيل: جدّدوا توحيدي وأمِرّوا بقلوبكم ذكر مُحمّد سيّد عبيدي وإمائي، وأعيدوا على أنفسكم الولاية لعلي أخي مُحمّد وآله الطيبين، وقولوا: اللّهم بجاههم جوّزنا على مَتن هذا الماء، فإنّ الماء يتحوّل لكم أرضاً. فقال لهم موسى ذلك فقالوا:

أتُورد علينا ما نكره ؟! وهل فررنا مِن آل فرعون إلّا مِن خوف الموت؟ وأنت تقتحم بنا هذا الماء الغَمْر بهذه الكلمات ؟! وما يُدرينا ما يحدث مِن هذه علينا ؟ فقال لمُوسى كالب بن يوحنا - وهو على دابة له، وكان ذلك الخليج أربعة فراسخ -: يا نبيَّ الله .. أمركَ الله بهذا أن نقوله وندخل الماء؟ فقال: نعم. قال: وأنت تأمرني به؟ قال: بلى.

قال: فوقف وجدّد على نفسه مِن توحيد الله ونبوّة مُحمّد وولاية عليّ بن أبي طالب وآلهما ما أمره به، ثمَّ قال: اللّهم بجاههم جوّزني على مَتن هذا الماء. ثمّ أقحمَ فرسه، فركض على متن الماء، وإذا الماء مِن تحته كأرض ليّنة حتّى بلغ آخر الخليج، ثمّ عاد راكضاً، ثمَّ قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل أطيعوا موسى فما هذا الدعاء إلّا مفتاح أبواب الجنان، ومغاليق أبواب النيران، ومُنْزل الأرزاق، وجالبٌ على عباد الله وإمائه رضى الرحمن المهيمن الخلاق. فأبوا، وقالوا: نحنُ لا نسير إلّا على الأرض.

فأوحى الله إلى موسى: (أن اضرب بعصاك البحر) وقل: اللّهم بجاه مُحمّد وآله الطيبين لَمّا فلقته. ففعل، فانفلق، وظهرت الأرض إلى آخر الخليج.

فقال موسى: ادخلوها، قالوا: الأرض وحلة نخاف أن نرسب فيها . فقال الله عزَّ وجل: يا موسى قل: الّلهم بحق مُحمَّد وآله الطيبين جفّفها فقالها، فأرسل الله عليها ريح الصبا فجفَّتْ، وقال موسى: ادخلوها
فقالوا: يا نبي الله نحن اثنتا عشرة قبيلة بنو اثني عشر أباً، وإنْ دخلنا رام كلُّ فريق منّا تقدّم صاحبه، ولا نأمن وقوع الشرّ بيننا، فلو كان لكل فريق منّا طريق على حدة لأمنّا ما نخافه، فأمر الله مُوسى أن يَضرب البحر بعددهم اثنتي عشرة ضربة في اثني عشر موضعاً إلى جانب ذلك الموضع، ويقول: الّلهم بجاه مُحمّد وآله الطيبين بيّن الأرض لنا وأمط الماء عنّا. فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً، وجفَّ قرار الأرض بريح الصبا فقال: ادخلوها.
فقالوا: كلُّ فريق منّا يدخل سكّة مِن هذه السكك لا يدري ما يحدث على الآخرين. فقال الله عز وجل: فاضرب كلّ طَود مِن الماء بين هذه السكك. فضرب وقال: الّلهم بجاه مُحمّد وآله الطيبين لَما جعلتَ في هذا الماء طيقاناً - أي فتحات - واسعة يرى بعضهم بعضاً منْها، فحدثتْ طيقان واسعة يرى بعضهم بعضاً منها، ثمّ دخلوها. فلمّا بلغوا آخرها جاء فرعون وقومه، فدخل بعضهم، فلمّا دخل آخرهم، وهمَّ أوّلهم بالخروج أمر الله تعالى البحر فانطبق عليهم، فغرقوا، وأصحاب موسى ينظرون إليهم، فذلك قوله عزَّ وجل: {وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون} إليهم.
قال الله عزَّ وجل لبني إسرائيل في عهد مُحمّد "صلّى الله عليه وآله": فإذا كان الله تعالى فعل هذا كلّه بأسلافكم لكرامة مُحمّد ودُعاء موسى دعاء تقرّب بهم إلى الله، أفلا تعقلون أنّ عليكم الإيمان بمُحمّد وآله إذ قد شاهدتموه الآن؟)

* وقفة عند الآية 58 من سورة البقرة وما بعدها:

{وإذ قُلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حِطّة نغفر لكم خطاياكم وسنزيدُ المحسنين * فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجْزاً مِن السماء بما كانوا يفسقون} وما ورد لهذه الآية مِن معنى في تفسير الإمام العسكري عليه السلام .. ممّا جاء فيه: (قال الله تعالى: واذكروا يا بني إسرائيل { إذْ قلنا } لأسلافكم { ادخلوا هذه القرية } وهي { أريحا } مِن بلاد الشام، وذلك حين خرجوا مِن التَيه {فكلوا منها} من القرية {حيث شئتم رغداً } واسعاً بلا تعب ولا نصب، {وادخلوا الباب} باب القرية سُجّداً. مثّل الله تعالى على الباب مِثال مُحمّد وعلي صلّى الله عليهما وآلهما، وأمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك المِثال، ويُجدّدوا على أنفسهم بيعتهما وذِكْر مُوالاتهما، وليذكروا العهد والميثاق المأخوذَين عليهم لهما....)

■ مَن يترك محمّداً وعليّاً يكون دائماً في تَيه (يخرج من تيه إلى تَيه) سواء كان من اليهود، مِن النصارى، من الشيعة .. من أيّ مجموعة كانتْ!!

■ الملائكة مِن قبل سجدوا لآدم .. لأنّ حقيقة آدم سجدت لمحمّد وعليّ وآلهما الأطهار، فشعّ نور محمّد وعليّ في آدم، فسجدت الملائكة كلّهم أجمعين لنور من محمّد وعليّ شعّ في آدم.

* تتمّة رواية تفسير الإمام العسكري في شرح الآية 58 من سورة البقرة تأتي تباعاً في حلقة يوم غد.